

ضاحكة مستبشرة

مقالات تنمية - المقالات الإسلامية 022

الصفات التي يمكن أن تكون لافتة للنظر هي ليست كثيرة؛ لأن هذه الصفات قليلة مصاديقها في الوجود، وليست متاحة للجميع وإن كثر الساعون إليها؛ وكأن هذه الصفات هي التي تختار أهلها وليس لنا أن نختارها، ولطالما كانت هذه الصفات هي المائز الأكثر تأثيراً على الآخرين، وهذا الأمر بحد ذاته كان سبب انجذاب الأمة إليها، وجعلها من الثوابت التي تعمل على استقامة الدين وسلامة السيرة، وقد أتضح من دعوة الأولياء أن التوفيق لها يستلزم عدّة مقدمات عميقة أبسطها الإخلاص لله تعالى والعمل على وفق مرضيه لترقى إلى أن تكون من الوجوه التي وُصفت بأنها تكون ضاحكة مستبشرة.

ومن المناسب أن نلاحظ أن هذه الصفات كانت تلازم الشهداء السعداء أكثر من غيرهم، والمعلوم أن الشهيد عنوان الكرامة وسرُّ استمرار الانتصار، وإن الذي يصنعه دم الشهيد يعجز عن صنعه غيره، ولهذا نجد في الإسلام تأكيداً على الاهتمام بالدعوة إلى الشهادة والتركيز على مكانة الشهداء، وتمييزهم من غيرهم وإن كانوا على قدر من الإيمان والتقوى، فقد ورد في الأثر النبوي الشريف قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (فَوْقَ كُلِّ ذِي بَرٍّ بَرٌّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِذَا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بَرٌّ)، والذي يتوقف لهذه الرتبة الكبيرة يليق به أن يترك خلفه ثغراً مبتسماً ضاحكاً؛ ليكون مصداقاً لقوله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ} [عبس: ٣٨-٣٩] ، ومن لحق بالشهداء يكون مصداقاً لهذه الدرجات العالية، زيادة على ذلك ما يجده من الكرامة عند الله حتى نقل عنهم أنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا ليقتلوا ألف مرة لما وجدوه عند الله من الحفاوة والكرامة.

ومن الجدير بالذكر أن العباد الصالحين لله تعالى يدعون بعضهم للبعض الآخر للتوفيق إلى الشهادة، وكلما كانت الدعوة صادقة كانت الاستجابة واقعية كالتي حصلت بين الشهيدان المهندس والسليمانى، فلم يرض أحدهما ترك صاحبه ليفجع به، فكانت النهاية التي ختمت بالعزة والكرامة، ضاحكين مبتسمين بعد حياة زاخرة بالعطاء قربة إلى الله تعالى ليجزيهما الله تعالى جزاء المحسنين بالشهادة الخالدة والتي كانت موضع آمالهما ليرتقيا سلم العروج إلى الله بوجوه مسفرة، ومن المهم أن ندرك أن مسيرة الشهادة لم تبلغ محطتها الأخيرة فهي مستمرة مع وجود الصادقين المقبلين على الله تعالى بقلوب موقنة بالجزاء والهناء، وما لم نتوفق إلى رؤيته على وجوه الشهيدان ارتسم على محيا الشهيد (وضاح الشبكي) اليوم حينما عرج هو الآخر سلم الخلود وانتصر على نفسه؛ ليواكب سبيل العاشقين نحو خلود ونعيم، فكانت الابتسامة العريضة التي نشرها الشهيد (وضاح الشبكي) على وجهه موضع تأمل عند الجميع؛ بل سارع كثير من المؤمنين إلى الدعوة من الله تعالى أن يرزقوا ما رزق الشهيد، وبلغت الأهمم القمم عند المجاهدين عليهم يحصلون على درجته التي اتضحت بتلك الابتسامة الهنيئة.

إن الذي ظهر على وجه الشهيد يؤكد على صدق الروايات التي كنا نقرأها ولم نكن نتصورها، ففي إحدى الروايات أن الشهيد إذا ارتقى فأول قطرة من دمه غفران لجميع ذنوبه بعد أن يسقط رأسه في حجر زوجته من الحور العين، ولعل الشهيد وضاح قد استحقها بجدارة، فاختار الله له الحور العين عوضاً عن خطيئته التي تركها بعد أن رزق الشهادة وهو ضاحك مستبشر.